الفصل الاول

التدريس واللغة العربية

الفصل الاول

التدريس واللغة العربية

ماهية التــدريس:

التدريس رسالة تستمد أخلاقياتها من هدي شريعتنا ومبادئ حضارتنا، وتوجب على القائمين بها أداء حق الانتماء إليها أخلاقياً في العمل، وصدقاً مع النفس والناس، وعطاءً مستمراً لنشر العلم وفضائله، والمدرس الناجح هو الذي يشعر بمدى اهمية عمله وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، ويكون مقتنعا بعمله مخلصا فيه متحمسا في ادائِهِ، متفانيا في اتقانه، مما يجعل الطلبة يقدرونه ويثقون به ويهتمون بدرسه، ويقبلون عليه وكلهم اذان وصغية وقلوب متفتحة، ويذقادون له طائعين مختارين لشعورهم بانه اب ومرب ومعلم في الوقت نفسه، سواء اكان هذا العمل تدريسا أم توجيها، أم تربية أم نصحا، أم امرا أم نهيا أم تشجيعا أم عقوبة، حتى يكون عند الله من المقبولين. قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف/١١٠).

مفهوم التدريس:

- **التدريس التقليدي:** هو كل ما يقوم به المدرس من نشاط، لأجل نقل المعارف إلى عقول الطلبة، ويتميز دور المعلم هنا بالإيجابية، ودور التلميذ بالسلبية في معظم الأحيان، بمعنى: أن التلميذ غير مطالب بتوجيه الأسئلة، أو إبداء الرأي؛ لأن المعلم هو المصدر الوحيد للمعرفة بالنسبة للتلميذ، إلا أن هذا المفهوم التقليدي لعملية التدريس كان سائدًا قديمًا، أما اليوم فتغيرت المفاهيم وتبدلت الظروف، وغزا التطور العلمي كل مجالات الحياة، مما أوجد مفهوما جديدًا للتدريس.
- **التدريس المعاصر:** هو عملية تربوية هادفة وشاملة، تأخذ في الاعتبار العوامل المكونة للتعلم والتعليم كافة، ويتعاون خلالها كل من المعلم والتلاميذ، والإدارة المدرسية، والغرف الصفية، والأسرة والمجتمع، لتحقيق ما يسمى بالأهداف التربوية، والتدريس إلى جانب ذلك عملية تفاعل اجتماعي وسيلتها الفكر والحواس والعاطفة واللغة.

إن التدريس موقف يتميز بالتفاعل بين طرفين، لكل منهما أدوار يمارسها من أجل تحقيق أهداف معينة، ومعنى هذا أن التلميذ لم يعد سلبيا في موقفه -كما لاحظنا في مصطلح التدريس التقليدي- إذ إنه يأتي إلى المدرسة مزودًا بخبرات

عديدة، كما أن لديه تساؤلات متنوعة تحتاج إلى إجابات، فالطالب يحتاج إلى أن يتعلم كيف يتعلم، وهو في حاجة أيضًا إلى تعلم مهارات القراءة والاستماع، والنقد، وإصدار الأحكام. فالموقف التدريسي يجب النظر إليه على نحو كلي، باعتبار أنه يضم عوامل عديدة تتمثل في: المعلم، والتلاميذ، والأهداف التي يرجى تحقيقها من الدرس، والمادة الدراسية، والزمن المتاح، والمكان المخصص للدرس، وما يستعمله المعلم من طرائق للتدريس، إلى جانب العلاقة -التي ينبغي أن تكون وثيقة- بين المدرسة والبيت، والمحيط الاجتماعي الذي ينتمي له التلميذ.

إن التدريس هو عملية بحث متواصلة تتم في اطار علاقات انسانية مباشرة بين طرفين هما المدرس والطالب، وبذلك فالتدريس عملية اختبار مستمرة تتبين من خلالها قدرات المدرس الشخصية والعلمية، ويحصل من خلالها التحول النوعي بصورة تدريجية في القيم السلوكية للمدرس، إذ تنتقل من كونها قيما مكتسبة الى قيم ذاتية وتصبح جزءا من شخصيته لتحوله الى شخص مربٍّ. ويعول على المدرس في التغيير الجذري للمناهج الدراسية، وفي مجرى العملية التعليمية ووسائلها وانشطتها. فالمدرس يجب أن يتميز بثقافة ودراية كاملتين وأن يكون متمرسا بأساليب التربية، فضلا عن تمكنه من المهارات اللازمة لاستعمال مختلف التقنيات التربوية التي تأخذ بها العملية التربوية المتطورة في أي مجتمع من المجتمعات التي تسعى الى تحسين نوعية العملية التعليمية لطلبتها.

التدريس بصفة عامة اصطلاح يدل على مرحلة عملية تتم بوساطتها ترجمة الأهداف، والمعايير النظرية، والأنشط التربوية "المنهج" إلى سلوك واقعي محسوس، ولا يتوقف هذا التدريس على المعلم فقط، بل يغطى أيضا كيفية الاستجابة للموقف التعليمي وتنظيمه الذي يتكون في العادة من المنهج، وغرفة الدراسة، والتلاميذ. ومن المنظور السابق تتحدد العوامل التي ترتكز عليها العملية التربوية والتعليمية وهى: المدرس، الطلبة، غرف الدراسة، الزمن المتاح لتنفيذ الدرس، طرائق التدريس التي على المدرس اتباعها عند شرح الدرس.

افضلية التدريس المعاصر على التدريس التقليدي

يمتاز التدريس المعاصر عن التدريس التقليدي بعدة ميزات نجملها في الآتي:

١- يعد الطالب محور عملية التربية، فعلى أساس خصائصه يتم تطوير الأهداف، واختيار المادة الدراسية، والأنشطة التربوية، وطرائق التدريس، والوسائل اللازمة لذلك، أما في التعليم التقليدي، فإن الأهداف تتحدد حسب رغبة المجتمع، أو من ينوب عنه، ثم يتم اختيار المادة الدراسية، والأنشطة، والطرائق المصاحبة لذلك، ومن هنا ندرك أن التعليم التقليدي يرتكز على المعلم أو المنهج.

٢- التدريس المعاصر عملية شاملة، تتولى تنظيم وموازنة معطيات العملية التربوية كافة، من معلم وتلاميذ، ومنهج، وبيئة مدرسية، لتحقيق الأهداف التعليمية، دون تسلط واحدة على الأخرى، أما في التدريس التقليدي فإن العملية التربوية محصورة غالبا في المعلم والمنهج.
٣- التدريس المعاصر عملية إيجابية هادفة تتولى بناء المجتمع، وتقدمه عن طريق بناء الإنسان الصالح، أو المتكامل فكرًا وعاطفة وحركة، بينما التدريس التقليدي -على العموم- عملية اجتهادية تهتم بتعلم التلاميذ لمادة المنهج، أو ما يريده المعلم دون التحقق من فاعلية هذا التعلم، أو أثره على التلاميذ أو المجتمع.
٤- التدريس المعاصر عملية انتقائية، تختار من المعلومات والأساليب، والمبادئ ما يتناسب مع التلاميذ، ومتطلبات روح العصر.
٥- التدريس المعاصر عملية اجتماعية تعاونية نشطة، يساهم فيها المعلم وأفراد التلاميذ، كل حسب قدراته، ومسئولياته، وحاجته الشخصية، أما التدريس التقليدي فيمثل عملية إلزامية مباشرة، تبدأ بأوامر المعلم ونواهيه، وتنتهي بتنفيذ التلاميذ جميعا لهذه المتطلبات.

المبادئ العامة للتدريس المعاصر

من خلال مفهوم التدريس المعاصر ومرتكزاته أوجز التربويون المبادئ العامة التي يقوم عليها هذا النوع من التدريس والتي سنستعرض بعضا منها:

١- يمثل الطالب في التدريس المعاصر محور العملية التربوية، دون المعلم أو المنهج أو المجتمع.
٢- تتلاءم مبادئ وإجراءات التدريس المعاصر لحالة التلاميذ الإدراكية، والعاطفية والجسمية، فتختلف الأساليب المستخدمة في التدريب باختلاف نوعية التلاميذ.
٣- يهدف التدريس المعاصر إلى تطوير القوى الإدراكية والعاطفية، والجسمية والحركية للتلاميذ بصيغ متوازنة، مراعيًا أهمية كل منها لحياة الفرد والمجتمع، دون حصر اهتمامه لتنمية نوع واحد فقط من هذه القوى على حساب الأخرى.
٤- يهدف التدريس المعاصر إلى تنمية كفايات التلاميذ وتأهيلهم للحاضر والمستقبل، ولا يحصر نفسه في دراسة الماضي لذاته.
٥- يمثل التدريس المعاصر مهنة علمية مدروسة، تبدأ بتحليل خصائص التلاميذ، وتحديد قدراتهم، ثم تطوير الخطط التعليمية، واختيار المسائل، والأنشطة والمواد التعليمية التي تستجيب لتلك الخصائص ومتطلباتها.

٦- يبدأ التدريس المعاصر بما يملكه التلاميذ من خبرات، وكفايات وخصائص، تم يتولى المعلم صقلها وتعديلها أو تطوير ما يلزم منها.
٧- يهدف التدريس المعاصر كعملية إيجابية مكافِئة إلى نجاح التلاميذ بإشباع رغباتهم، وتحقيق طموحاتهم، لا معاقبتهم نفسيًا أو جسديًا أو تربويًا بالفشل والرسوب كما هي الحال في الممارسات التعليمية والتعلمية التقليدية.

التدريس كعملية:

ان التدريس بمثابة عملية حياة وتفاعل بين المدرس والطالب من خلال مصادر المعرفة المختلفة. وان هذه العملية معاونة للمتعلم اكثر من اي طرف فيها، فهي تعدل طريقة تفكيره، وشعوره، وافعاله. ووسائل المدرس في هذا، هي ذخيرته الممتازة من الخبرات، وقدرته الفعلية على احداث التعديل المرغوب فيه. وتتطلب عملية التدريس، وجود خبرات كافية بكل ما تتضمنه مقومات مهنة التدريس (المادة التعليمية-طرائق التدريس-المواد التعليمية المساعدة-اساليب التقويم). وتشتمل عملية التدريس على اربعة جوانب:

١- المدخلات: وهي العناصر والاجراءات او المكونات، وتشمل: خصائص المتعلم ومهاراته، وخصائص الطالب، والاهداف والكتب الدراسية، وبيئة الفصل، والتجهيزات والمعدات والوسائل التعليمية.
٢- العمليات: وهي التفاعلات التي تحدث بين المدخلات، وتؤدي الى تغيرات يمكن ملاحظتها في سلوك الطالب.
٣- المخرجات: و هي نتائج التفاعلات التي تحدث بين المدخلات، وتحقق الاهداف المتوقعة لدى الطالب: النمو العقلي او المعرفي،واتجاهات ايجابية نحو المادة الدراسية، ونمو مهارات وقيم مرغوب فيها.
٤- التغذية الراجعة او المرتدة: و هي النظر في مستوى التغيرات السلوكية التي تحدث في سلوك الطلاب في ضوء الاهداف المحددة سلفا،وتصحيح مسار النظام(المدخلات، العمليات، المخرجات).

التدريس كمهنة اساسية

إن وصف التدريس بأنه مهنة، يشير إلى أنه من جملة العلوم والصنائع إلى لا بد لها من مبادئ وأصول وقواعد، وأن من يقوم بهذه المهنة لا بد له من الإحاطة بتلك المبادئ والأصول حتى تتكون لديه المهارة والملكَة للنجاح في تلك المهنة. والملكة في صناعة – ما – أو مهنة – ما، كما ذكر ابن خلدون في مقدمته هي: " صفة راسخة تحصل عند استعمال ذلك الفعل، وتكرره، مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة، وعلى قدر جودة التعليم، وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة، وحصول ملكته ".

ولهذا فأن التدريس تنطبق عليه معايير المهنة، ومن أهمها:

١- أن لها دوراً حيوياً في المجتمع، يستهدف الخير والمصلحة العامة.

٢- أن ممارسة المهنة تتطلب اكتساب مهارات قائمة على معرفة نظرية تتيح معرفة أعمق لفهم وتحليل مشكلات المهنة، وتحديد الحلول المناسبة لها.

٣- إن ممارسة المهنة تتطلب تأهيلاً مهنياً وإعداداً منظماً يؤهل الإنسان لممارسة المهنة.

٤- إن المهنة تتطور، وتنمو من يوم لآخر، وهذا يستدعي برامج تدريبية لممارسي المهنة ليلحقوا بالتطورات المستجدة.

٥- إن لها أخلاقيات خاصة بها، فلكل مهنة قيم خلقية وآداب خاصة تنبع من المهنة ذاتها، وتمثل الأساس القيمي للمهنة يجب أن يلتزم به جميع الممارسين لها.

وكون التدريس " مهنة " لا يلغي الجانب الفطري لدى بعض العاملين في هذه المهنة، فقد يوجد لدى بعض الناس موهبة فطرية في التعليم، فيكفيه أن يتفوق في مادته العلمية ليكون مدرساً ناجحاً، نتيجة لاثراء العلمي المعرفي لديه، وموهبته الفطرية، كما أن المعلم يمُكن أن يظهر – من خلال تدريسه – قدراته الابتكارية وذوقه الجمالي في التفكير والحركة التعبيرية، والتعامل الإنساني والقدرة العالية لإثارة عقول تلاميذه لإنتاج حلول ونظريات، ولكن مثل هذا المعلم الموهوب نادر الوجود.

والحديث عن الموهبة في التعليم يقود إلى الحديث عن الفن في التدريس. فعملية التدريس لا يكفي فيها الموهبة، أو التمكن من المادة العلمية أو الإلمام بالجوانب النظرية للتخصص المراد تدريسه فقط، بل لا بد أن يصطحب ذلك الإعداد التربوي القائم على التدريب والممارسة العملية والمشاهدة النظرية في البيئة الطبيعية والتدريس الفوري بعد الحصول على الشهادة العلمية المتخصصة دون المرور

بالإعداد والتدريب التربوي فكرة غير مقبولة، ونتائجها العاجلة والآجلة على التلاميذ والعملية التعليمية غير جيدة. وبالمقابل، فإن مهنة التدريس ليست حرفة لا تحتاج لإعداد ذي شأن ولا لدراسات وتدريبات، وإنما يكتفي فيها بالتقليد، بل لا بد أن يصحب ذلك معرفة متخصصة وإلماماً بالأسس العلمية والنفسية والاجتماعية للتدريس. ومن هذا العرض يتضح أن مهنة التدريس تقوم على العلم والفن في آن واحد، وتكاملهما يزيد من مستوى النجاح في هذه المهنة.

نستنتج من ذلك أن مهنة التدريس كسائر المهن الأخرى تحتاج إلى إعداد خاص يؤهل المدرس ويعده؛ لأداء عمله على أكمل وجه فبجانب الصفات العامة والخاصة التي يجب أن تتوافر في المعلّم، فإنه يحتاج إلى أن يطبق النظريات والمعارف والعلوم النظرية في مواقف عملية واقعية، تحت إشراف فني خاص، أي أن يمر بفترة " التدريب العملي أو التربية العملية " وذلك لتحقيق الأهداف الاتية:

١- أن يدرك المدرس ما لديه من قدرات وصفات طيبة ويعمل على تنميتها.
٢- أن يطبق عملياً ما درسه في التربية وعلم النفس.
٣- أن يشعر بالانتماء لمهنة التدريس.
٤- أن يستفيد من ملاحظات المشرف وتوجيهه.
٥- زوال الرهبة من مواجهة الطلاب، والتدرب على حسن التصرف في المواقف الصعبة.
٦- التعود على احترام النظام التعليمي، واكتساب ثقة الزملاء ومحبّتهم.
٧ - الاستفادة من مشاهدته لزميله المتدرب، ومن النقد المتبادل بينهما.

مكانة مهنة التدريس

إن شرف مهنة التدريس يستمد قوته من شرف الرسالة التي يسعى المدرسون إلى تبليغها وهي رفع الجهل عن المتعلمين، ومساعدتهم على التعرف على خالقهم أولاً وقبل كل شيء، ثم معرفة ما يجب عليهم فعله تجاه ربهم طمعاً في ثوابه، وما يحرم عليه فعله خوفاً من عقابه، يقول الرسول ﴿ﷺ﴾: " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً " رواه مسلم.

إن مهنة التدريس هي مهنة الأنبياء والمرسلين، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف / ٦٢]. وهذا هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨] . و هذا النبي محمد ﴿ﷺ﴾: يجتهد في دعوة الناس لإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ [المدثر: ٢].

وكل من علم الناس الخير وحذرهم من الشر فهو شبيه بالأنبياء والمرسلين، وهو وريثهم في العلم والعمل، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ص يقول: " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ". قال ابن القيم رحمه الله: والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضى ربه، ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً له، وتوفيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوة، وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم تناسب، فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم، وعلى أيديهم حصل لهم كل سعادة وعلم وهدى، فإذا طلب العبد العلم [وقام بتعليم الناس] فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه حتى تضع أجنحتها له رضى ومحبة وتعظيماً.

إن نظرة تأملية في أسباب قيام الحضارات ونموها، وما تبرزه من إنتاج فكري وحضاري عظيم، تبرز الأهمية المتنامية لمهنة التدريس ووظيفتها لصناعة التقدم الإنساني عبر عصور التاريخ، فالأمم جميعاً لا تستغني عن التعليم والتدريس فهو: ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري، وأداة لا بد منها، لتمكين المجتمع من تربية الوليد البشري، وتنشئته إنسانياً، ولتمكين المجتمع من الوصول إلى الرفاهية من خلال الخبرات والصنائع التي تناله المجتمعات بالتعليم، فكل الصنائع العملية إنما تكتسب بالتعليم، ولا بد لها من معلم، النجارة والبناء والطب والوراقة والخياطة وتعليم العلم، وغيرها. "

وتعد مهنة التدريس من أشرف المهن التي يؤديها الإنسان عامة والمدرس خاصة؛ إذ إن العاملين في هذا الميدان -وهم المدرسون- يتركون آثارا واضحة على المجتمع كله، وليس على أفراد منه فحسب، كما هو الحال مع أصحاب المهن الأخرى، كالأطباء والمهندسين والمحامين والحرفيين، فالمدرس عندما يدرس في الفصل لا يدرس لطالب واحد فقط، وإنما يدرس لعشرات الطلاب بل وللمئات خلال اليوم الواحد، والفرق واضح بين مهنة الطبيب -على سبيل المثال- الذي يخص بعلاجه فردًا واحدًا من أفراد المجتمع، بل ويعالج الجزء المعتل من بدنه، ولا يترك أثرًا علميًا على مريضه، كما يفعل المعلم الذي يؤثر تأثيرا كبيرا على عقول طلابه وشخصياتهم، وكيفية نموها وتفتحها على حقائق الحياة. وتعد عملية التدريس والتعلم الأساس والأسبق بين المهن الأخرى، فالطبيب والمهندس والمحامي والمحاسب

والصيدلي وغيرهم لابد، وأن يمروا تحت يد المعلم؛ لأنهم من نتائج عمله وجهده وتدريبه في مراحل التعليم المختلفة. أضف إلى ما سبق أن المعلم يحاول دائما من خلال مهنة التدريس أن يجدد ويبتكر، ويثير عقول التلاميذ، ويهذب طباعهم، وأن يوضح الغامض، ويكشف الستار عن الخفي، ويربط بين الماضي والحاضر، ويخلق في نفوس الأجيال الناشئة الأمل واليقين، ويؤهلهم لبناء المجتمع الناجح القائم على فهم الحياة ومتطلباتها.

ولأهمية مهنة التدريس فقد وصفها أحد علماء التربية بأنها: " المهنة الأم " وذلك لأنها تسبق جميع المهن الأخرى، ولا غنى لها عنها، فهي الأساس الذي يمدها بالعناصر البشرية المؤهلة علمياً وفنياً واجتماعياً وأخلاقياً. وإذا كانت مهنة التدريس هي المهنة الأم فإن من يقوم بهذه المهنة (وهو المدرس، أو المدرسة) ذو شأن ومكانة ودور كبير في المجتمع. فالدور الذي يقوم به المدرس يفوق الدور الذي يقوم به العاملون في المهن الأخرى.

إن دور المدرسين في المجتمعات التي يدرسون فيها عظيم وخطير. " فهم يخدمون البشرية جمعاء، ويتركون بصماتهم على حياة المجتمعات التي يعملون فيها، كما أن تأثيرهم على حياة الأفراد ومستقبلهم مستمر مع هؤلاء الأفراد لسنوات قد تمتد معهم ما أمتد بهم العمر. إنهم يتدخلون في تشكيل حياة كل فرد من باب المدرسة ويشكلون شخصيات رجال المجتمع من سياسيين وعسكريين ومفكرين وعاملين في مجالات الحياة المختلفة، رجالاً ونساءً على حد سواء".

ثانياً: اللغة العـــربية:

تعد اللغة العربية من أقدم اللغات الحية على وجه الأرض، و على اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة؛ لا نجد شكاً في أن العربية التي نستعملها اليوم أمضت ما يزيد على ألف وستمائة سنة، وقد تكفّل الله – سبحانه و تعالى- بحفظ هذه اللغة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، و منذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أرجاء المعمورة وبلغت ما بلغه الإسلام وارتبطت بحياة المسلمين فأصبحت لغة العلم و الأدب والسياسة و الحضارة فضلاً عن كونها لغة الدين والعبادة. لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب الحضارات المختلفة؛ العربية، والفارسية، واليونانية، والهندية، المعاصرة لها في ذلك الوقت، و أن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع، إنسانية الرؤية، وذلك لأول مرّة في التاريخ، ففي ظل القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية لغة عالمية، واللغة الأم لبلاد كثيرة.

أهمية اللغة العربية:

لقد حمل العرب همّ اللغة العربيّة فِي زمَنِ الرسول (ﷺ) عِندَ ظُهورِ الإسلام والقرآنِ الكريم الذي نَزَلَ باللغَةِ العربيّة فَفَتَحُوا الكثيرَ مِنَ بلاد غَربَ آسيا وشمالِ أفريقيا، فَتَخَلّدت اللغة العربيّة وتوطّنت فِيها، ودخولِ الأعاجم الجُدُد الذين شاركوا فِي شرحِ قواعد اللغةِ العربيّة وآدابها وكانوا علماءً فِيها بفنونها الثلاث (المعاني، والبيان، والبديع)، لذلِكَ فإنَّ أهميّة اللغة العربيّة تعودُ إلى:

- لا يُمكن فهمُ الإسلام من دون اللغةِ العربيّة: فهي الطريق للوصولِ إلى أسرار القرآن الكريم والسنّة، وارتباطِ اللغةِ بالإسلام كان سبباً في بقائها وانتشارها في العالم، وقالَ عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه -: "تعلَّموا العربيةَ؛ فإنها من دينِكم، وتعلَّموا الفرائضَ؛ فإنها مِن دِينِكُم"
- هي لغةِ عزٍّ للأمّة: المسلم يفتخر بإسلامهِ وتراثهُ الحضاري الذي بقي مخلّداً لآلافِ السنين، فيجب أن يعرف كل عربي أنّ اللغةِ العربيّة هي من أبرز مقوّمات الدولةِ الإسلاميّة وشخصيتها وهي وعاء للمعرفة والثقافة، فكم من كتب علميّة خطّت بقلم عربي انتقلت إلى العالم الغربي، واستفادوا منها، على سبيل المثال ابن سينا في الفلسفة والعلوم العمليّة والنظريّة والآليّة؛ الّذي بقي كتابه (القانون في الطب) العُمدة في تعليمهِ حول العالم وغيرهِ الكثير، وقال مصطفى صادق الرافعي -رحمهُ الله- مقولتهُ المشهورة: (ما ذلَّت لغةُ شعبٍ إلاَّ ذلَّ، ولا انحطَّت إلاَّ كان أمرُه في ذَهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرضُ الأجنبيُّ المستعمر لغتَه فرضًا على الأمَّةِ المستعمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمتَه فيها، ويستلحِقهم من ناحيتِها، فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثةً في عملٍ واحدٍ؛ أمَّا الأول: فحَبْس لغتهم في لغته سجنًا مؤبَّدًا، وأمَّا الثاني: فالحكمُ على ماضيهم بالقتلِ محوًا ونسيانًا، وأمَّا الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلالِ التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ)، ولِهذا مَن كانَت لُغَتهُ الأم هِيَ اللغَةِ العَربيّة يَجِب أن لا يَتَكَلّم سِوى بها.
- الجهلُ في اللغة العربيّة سبب الزيغ: فالضعفُ بمعرفةِ اللغةِ العربيّة ومفرداتها أدّى إلى ضلال كثير مِنَ المتفقّهين، فقد قال ابن جني: (إنَّ أكثر مَن ضلَّ مِن أهلِ الشّريعَة عن القصدِ فيها، وحادَ عَنِ الطريقَةِ المُثلى إليها، فإنّما استهواهُ واستَخَفَّ حِلمَه ضَعفُه فِي هذه اللغةِ الكريمة الشريفة التي خُوطِبَ الكافَّةُ بها)، فَيَجِب على كل مَن أرادَ أن يفهَمَ آياتِ الله تعالى أن يَدرُسَ اللغةِ وَيَفهَمُ مَعانيها وَيفهم مَدلولَ الآية مِن خِلالِ التفسيرات، وَمِن ثمّ يُفتي فِي الآية وليس على الفهمِ السّطحي لكلماتِ القرآن لأنّهُ كلامُ الله.

- اللغَةِ العربيّة هِيَ أفضلُ وسيلَةٍ لمعرِفَةِ شخصِيّةِ الأمّة: جَميعُ الأدوات التي سُجّلت وتُرِكَت كانَت موجودَةٌ مُنذُ أقدَمِ عُهودِنا وأفكارِنا؛ فالبيئَةِ التفكيريّة التي عاشت فِيها العصورِ القديمة وطريقَةِ تطوّرها لا يُمكن أن تُفهمَ سِوى عن طريقِ اللغةِ العربيّة، فارتباط الماضي بالحاضر بالمستقبل يعد من خصائص أيّ أمّة.
- مَصدر مُشترك بينَ الدول العربيّة: جَميعُ الدول العربيّة تشتركُ بـ (اللغة، والدين، والثقافات وتنوّعها) فَيُمكِن مِن خِلالِ هذِهِ العوامل أن تتوحّد الدول العربيّة وتصبحَ عِبارَة عَن أمّةٍ واحِدة ولاسيّما وُجودُ لُغَة يُمكن الاستفادةُ منها مِن خلال (التجارة، والتعامل بين الناس، والتعارف والمخابطة، والاقتصاد).

خصائص اللغة العربية:

للعربية خصائص كثيرة يضيق المجال عن حصرها في هذه المحاضرة، لذا سأقتصر على بعضها تاركاً، لمن أراد التوسع، الرجوع إلى أمات الكتب في هذا المجال.

١- **الخصائص الصوتية**: إن اللغة العربية تملك أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، إذ تتوزع مخارج الحروف بين الشفتين إلى أقصى الحلق. وقد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً ولكن مخارجها محصورة في نطاق أضيق ومدرج أقصر، كأن تكون مجتمعة متكاثرة في الشفتين وما والاهما من الفم أو الخيشوم في اللغات الكثيرة الغنة (الفرنسية مثلاً)، أو تجدها متزاحمة من جهة الحلق.

وتتوزع هذه المخارج في هذا المدرج توزعاً عادلاً يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات. ويراعي العرب في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها وترتيبها فيها حدوث الانسجام الصوتي والتآلف الموسيقي. فمثلاً لا تجتمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال. ولا تجتمع الجيم مع القاف والظاء والطاء والغين والصاد، ولا الحاء مع الهاء، ولا الهاء قبل العين، ولا الخاء قبل الهاء، ولا النون قبل الراء، ولا اللام قبل الشين.

وأصوات العربية ثابتة على مدى العصور والأجيال منذ أربعة عشر قرناً. ولم يُعرف مثل هذا الثبات في لغة من لغات العالم في مثل هذا اليقين والجزم. إن التشويه الذي طرأ على لفظ الحروف العربية في اللهجات العامية قليل محدود، وهذه التغيرات مفرقة في البلاد العربية لا تجتمع كلها في بلد واحد. وهذا الثبات، على عكس اللغات الأجنبية، يعود إلى أمرين: القرآن، ونزعة المحافظة عند العرب.

وللأصوات في اللغة العربية وظيفة بيانية وقيمة تعبيرية، فالغين تفيد معنى الاستتار والغَيْبة والخفاء كما نلاحظ في: غاب، غار، غاص، غال، غام. والجيم تفيد معنى الجمع: جمع، جمل، جمد، جمر. وهكذا.

٢– **الاشتقاق**: الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسر وقبائل. وللكلمة جسم وروح، ولها نسب تلتقي مع مثيلاتها في مادتها ومعناها: كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها. والروابط الاشتقاقية نوع من التصنيف للمعاني في كلياتها وعمومياتها، وهي تعلم المنطق وتربط أسماء الأشياء المرتبطة في أصلها وطبيعتها برباط واحد، وهذا يحفظ جهد المتعلم ويوفر وقته. إن خاصية الروابط الاشتقاقية في اللغة العربية تهدينا إلى معرفة كثير من مفاهيم العرب ونظراتهم إلى الوجود وعاداتهم القديمة، وتوحي بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها في النفوس عن طريق اللغة.

٣ – **خصائص الكلمة العربية (الشكل والهيأة أو البناء والصيغة أو الوزن):** إن صيغ الكلمات في العربية هي اتحاد قوالب للمعاني تُصبُّ فيها الألفاظ فتختلف في الوظيفة التي تؤديها. فالناظر والمنظور والمنظر تختلف في مدلولها مع اتفاقها في أصل المفهوم العام الذي هو النظر. الكلمة الأولى فيها معنى الفاعلية والثانية المفعولية والثالثة المكانية. وللأبنية والقوالب وظيفة فكرية منطقية عقلية. لقد اتخذ العرب في لغتهم للمعاني العامة أو المقولات المنطقية قوالب أو أبنية خاصة: الفاعلية - المفعولية - المكان - الزمان - السببية - الحرفة - الأصوات - المشاركة - الآلة - التفضيل - الحدث.

إن الأبنية في العربية تعلم تصنيف المعاني وربط المتشابه منها برباط واحد، ويتعلم أبناء العربية المنطق والتفكير المنطقي مع لغتهم بطريقة ضمنية طبيعية فطرية. وللأبنية وظيفة فذية، فقوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزان موسيقية، أي أن كل قالب من هذه القوالب وكل بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة. فالقالب الدال على الفاعلية من الأفعال الثلاثية مثلاً هو دوماً على وزن فاعل والدال على المفعولية من هذه الأفعال على وزن مفعول.

٤ – **التعريب**: يتشابه نظام العربية مع نظام المجتمع العربي. فكما يرتبط أفراد المجتمع العربي وقبائله بصلات القربى والنسب والتضامن والتعاون، ترتبط ألفاظها في نسق خاص في حروفها وأصواتها، ومادتها وتركيبها، وهيئتها وبنائها.

وحين يدخل غريب على المجتمع فلا بد له لكي يصبح عضواً فيه من أن يلتزم بأخلاقه وعاداته، فكذلك اللفظة الأعجمية إذا دخلت يجب أن تسير على أوزان العربية وهيئاتها وصيغها لكي تصبح عضواً كامل العضوية في الأسرة اللغوية. ويُستعمل في العربية مصطلح التعريب بينما في اللغة الأجنبية استعارة emprunt. والتعريب أحد مظاهر التقاء العربية بغيرها من اللغات على مستوى المفردات.

وكانت الألفاظ الدخيلة في العصر الجاهلي قليلة محدودة تتصل بالأشياء التي لم يعرفها العرب في حياتهم. وهي محصورة في ألفاظ تدل على أشياء مادية لا معنوية مثل: كوب - مسك - مرجان - درهم وتعود قلة الدخيل إلى سببين: انغلاقهم على أنفسهم واعتدادهم بأنفسهم وبلغتهم. أما بعد الإسلام فقد اتصلت العربية باللغات الأخرى فانتقلت إليها ألفاظ جديدة تتعلق كلها بالمحسوسات والماديات مثل أسماء الألبسة والأطعمة والنباتات والحيوان وشؤون المعيشة أو الإدارة. وقد انعدم التأثير في الأصوات والصيغ والتراكيب. إن هذا الداخل على الغالب لم يبق على حاله بل صيغ في قالب عربي، ولذلك كانت المغالاة والإكثار من الغريب وفسح المجال من غير قيد مظهراً من مظاهر النزعة الشعوبية في الميدان اللغوي قديماً وحديثاً.

٥ – **خصائص معاني الألفاظ العربية**: تقوم طريقة العربية في وضع الألفاظ وتسمية المسميات على الأمور الاتية:

أ - اختيار صفة من صفات الشيء الذي يراد تسميته أو بعض أجزائه أو نواحيه أو تحديد وظيفته وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه.

ب - تحتفظ العربية بالمعاني الأصلية الدالة على أمثال هذه المسميات، فألفاظها معللة على عكس غيرها من اللغات التي لا تحتفظ بهذه المعاني.

ج - الإشارة إلى أخص صفات المسمى وأبرزها أو إلى عمله الأساسي ووظيفته، على عكس اللغات الأجنبية التي تشير إلى ظاهره وشكله الخارجي أو تركيبه وأجزائه. فمثلاً تسمية الدراجة في العربية تشير إلى وظيفتها وعملها وحركتها. أما في الفرنسية فإن bicyclette (ذات الدولابين) تشير إلى أجزائها وتركيبها وحالتها الساكنة. ومثل ذلك السيارة التي تشير تسميتها إلى عملها بينما في الفرنسية كلمة automobile تعني المتحرك بنفسه.

ويظهر تفكير العرب وحياتهم واضحين جليين في مفردات لغتهم، فكلمة العامل، مثلاً بعد الإسلام، أخذت معنى الوالي والحاكم، وهذا يدل على أن الولاية عمل من الأعمال وليست استبداداً، وأن الحكم تكليف وليس تشريفاً. ولفظ (المرء) للمذكر و (المرأة) للمؤنث يدل على تساوي الرجل والمرأة

عندهم في الأصل. والمروءة هي الصفات المستحسنة المأخوذة من أخلاق الإنسان ذكراً كان أو أنثى.
وللغة العربية طريقة في تصنيف الموجودات، فمفرداتها تدل على أن العرب صنفوا الوجود تصنيفاً شاملاً دقيقاً منطقياً يدعو إلى الدهشة والتعجب، ويدل على مستوى فكري قلما وصلت إليه الأمم في مثل هذا الطور المبكر من تاريخ حياتها.
وفي العربية عموم وألفاظ عامة إذ يحتاج الإنسان في مراحل ارتقائه الفكري إلى ألفاظ دالة على معان عامة سواء في عالم المادة أو في عالم المعنويات. وسدت اللغة العربية هذه الحاجة، وأمدت المتكلم بما يحتاج إليه وبذلك استطاعت أن تكون لغة الفلسفة كما كانت لغة العلم والفن والشعر.

٦ – **الإيجاز**: الإيجاز صفة واضحة في اللغة العربية. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((أوتيت جوامع الكلم)). ويقول العرب ((البلاغة الإيجاز)) و ((خير الكلام ما قلّ ودلّ)). وفي علم المعاني إيجاز قصر وإيجاز حذف.

الإيجاز في الحرف: والإيجاز في العربية على أنواع، فمنها الإيجاز في الحرف،إذ تكتب الحركات في العربية عند اللبس فوق الحرف أم تحته بينما في اللغات الأجنبية تأخذ حجماً يساوي حجم الحرف أو يزيد عليه. وقد نحتاج في اللغة الأجنبية إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين كالخاء (KH) مثلاً ولا نكتب من الحروف العربية إلا ما نحتاج إليه، أي ما نتلفظ به، وقد نحذف في الكتابة بعض ما نلفظ: لكن - هكذا - أولئك.

نظريات تدريس اللغة العربية

١. نظرية الوحدة في تدريس اللغة العربية

المراد بها في تعليم اللغة أن ننظر إلى اللغة على أنها وحدة مترابطة متماسكة، وليست فروع مفرقة مختلفة. ولتطبيق هذه النظرية في تعليم اللغة يتخذ الموضوع أو النص محورا تدور حوله جميع الدراسات اللغوية. فيكون هو موضوع القراءة والتعبير والتذوق والحفظ والإملاء والتدريب اللغوي. وقد كانت هذه النظرية هي السائدة في العهود الأولى تدريسا وتأليفا. وطبيعي أن نظرية الوحدة لا تعترف بتخصيص حصص معينة لأي من أنواع الدراسات اللغوية.

أسس نظرية الوحدة:

تعتمد نظرية الوحدة في تعليم اللغة على أسس نفسية وأسس لغوية.

فمن الأسس النفسية:

١. أن فيها تجديدا لنشاط التلاميذ وبعثا لشوقهم ودفعا للسأم والملل عنهم، وذلك لتنوع العمل وتلوينه.

٢. وفيها نوع من تكرا الرجوع إلي الموضوع الواحدة، لعلاجه من مختلف النواحي. وفى التكرار تثبيت وزيادة فهم.
٣. نظرية الوحدة تقضي بفهم الموقف الذي يمثله الموضوع فهما كليا أولا ثم الانتقال بعد ذلك إلى فهم الأجزاء. و هذا يساير طبيعة الذهن في إدراك الأشياء.

ومن الأسس التربوية:

١. أن فيها ربطا وثيقا بين ألوان الدراسات التربوية.
٢. وفيها ضمان للنمو اللغوي عند التلاميذ نموا معتدلا، لا يطغى فيه لون على اخر، لأن هذه الألوان جميعها تعالج في ظروف واحدة ولا تتفاوت فيها حماسة المدرس أو إخلاصه أو غير ذلك من العوامل.

ومن الأسس اللغوية:

١. أنها مسايرة للاستعمال اللغوي، لأننا حين نستعمل اللغة في التعبير الشفوي أو الكتابي إنما نصدر في كلامنا أو كتابتنا عن ثقافتنا اللغوية وحدة مترابطة. هذا بمعنى أننا لا نشير إلى القاموس أولا ليمدنا بالمفردات التي نحتاج إليها، ثم نستشير القواعد لنفهم كيف نؤلف الجمل ونضبط الكلمات، بل يتم تعبيرنا بصورة سريعة فيها تكامل وارتباط.
٢- نظرية الفروع في تدريس اللغة العربية المراد بها في تعليم اللغة أذنا نقسم اللغة فروعا. لكل فرع منهجه وكتبه وحصصه، مثل المطالعة والمحفوظات والتعبير والقواعد والإملاء والأدب والبلاغة. ولتطبيق هذه النظرية يعالج كل فرع من هذه الفروع على أساس منهجه المرسوم في حصصه المقررة في الجدول الدراسي.

٢. مظاهرها في التدريس:

تسير دراسة اللغة في المدارس على نظرية الفروع إلى حد كبير:

١. حصص اللغة موزعة على هذه الفروع.
٢. لكل فرع منهج خاص به.
٣. لكل فرع كتاب خاص.
٤. في الامتحانات توزع الدرجات على هذه الفروع.

فوائدها:

١. اتباع نظرية الفروع يتيح للمدرس أن يؤثر لونا معينا من ألوان الدراسات اللغوية بمزيد من العناية في وقت خاص.
٢. كما يستطيع المدرس أن يستوعب المسائل التي ينبغي دراستها، لأن نظرية الوحدة قد تختلف عنها ثغرات في مسائل المنهج، لا تظفر بنصيبها من العناية والدرس.

عيوبها:

١. فيها تمزيق للغة يفسد جوهر ها ويخرجها عن طبيعتها. فهذا التمزيق يعد تفتيتا للخبرة اللغة التي يكسبها التلاميذ. ولعل هذا من اسباب عجزهم عن استعمال اللغة المواقف الحيوية استعمالاً سليماً من جميع الوجوه.

٢. عدم التعادل في النمو اللغوي. فقد تشتد حماسة المدرس ويزيد إخلاصه فى حصة القواعد مثلا، فينعكس ذلك على التلاميذ.

٣. في هذه الطريقة تقل فرص التدريب على التعبير، ويضيق مجا له مع أن التعبير هو ثمرة الدراسات اللغوية جميعها.

٢- التوفيق بين النظريتين:

ليس التوفيق بين هاتين النظريتين عسيرا، بل يمكن الانتفاع بمحاسنهما، وذلك على الأسس الاتية:

١. ألا نعدّ أي فرع من فروع اللغة العربية قسما قائما بذاتها، منفصلا عن غيره، بل نعد الفروع جميعها أجزاء شديدة الاتصال لكل واحد هو "اللغة".

٢. اتباع نظرية الوحدة في الصفوف الصغيرة واتباع نظرية الفروع في الصفوف المتقدمة على شرط أن يعالج المدرس أكثر ما يمكن من الفروع في كل حصة بصورة خالصة من التكلف.

٤. الصلة بين فروع اللغة:

هي صلة جوهرية طبيعية، لأن الفروع جميعها متعاونة على تحقيق الغرض الأصلي من اللغة. وهو أقدار المتعلم على أن يستعمل اللغة استعمالاً صحيحاً.

ولبيان هذه الصلة بين الفروع نسوق الأمثلة الاتية في إيجاز:

١. **المطالعة**: فيها مجال للتدريب على التعبير والتذوق والإملاء بجانب القدرة على الاستعمال اللغوي الصحيح.

٢. **القواعد النحوية**: فيها مجال للتدريب على التعبير والتذوق والاستعمال اللغوي والإملاء بجانب القدرة على الاستعمال اللغوي الصحيح.

٣. **الإملاء**: فيه مجال للتدريب على التعبير والتذوق والاستعمال اللغوي بجانب التدريب على رسم الحروف والكلمات رسما صحيحا.

٤. **الدراسات الأدبية**: وتشمل الأناشيد والمحفوظات والنصوص الأدبية والبلا غة: فيها تدريب على القراءة والتعبير والاستعمال اللغوي بجانب الفهم والتذوق وتنمية الثروة اللغوية.

وهكذا يمكن في كل حصة من حصص اللغة العربية معالجة اكثر من فرع، وتحقيق طائفة من الفوائد اللغوية مختلفة الألوان.